

نموذج محي للفكر العالبي العربي في شخص « ابن البناء المراكشي »

لمحمد إدريس العلكي

القحطانية التي كانت تسكن اليمن وما جارها من جنوب شبه الجزيرة العربية واليهام ينسب الانصار) ، ولقب ابن البناء بهذا اللقب لان جده كان يمتحن هاته الحرفة وكم من علما. أجلاء كانوا ابناء محترفين وفقراء وبذلك تصدق الحكمة النبوية « لولا أبناء الفقراء لضاع العلم، ولقب ابن البناء. ايضا بالعددي نسبة الى العدد أي الحساب لتكريسه انقسط الاكبر من حياته لخدمة هذا العلم وقيامه بتأليف كثير من الكتب فيه واستنباطه للقواعد والطرق التي لم يسبق اليها وما زالت معتمدة حتى اليوم في مدارس وكليات العالسم في الشرق والغرب وقد تعلم ابن البناء على الطريقة المغربية ، حيث أدخله والده الكتاب فحفظ القرآن وبعض المتون التي تسمى بالامهات في النحو والصرف والبلاغة والادب والفقه والاصول وبرع في فهمها بعد دراستها على عدة شيوخ أجلاء وكرس جهوده على الاخص لخدمة علوم الحساب والهندسة والتوقيت والهيئة والجبر والطب ولكنه في الحقيقة لم يترك بابا من أبواب العلم الا وطرقه شأنه في ذلك شأن علما. عصره حيث كانت المشاركة عندهم في العلوم تبدأ مرحلة التخصص وقد أكسبه اشتغاله بالرياضيات والهيئة والتوقيت شهرة

عرف العصر العربي فيما عرف من ازدهار ملموس في العلم والادب تفوقا كبيرا في ميدان العلوم والرياضيات واستكمل المغرب شخصيته العلمية وتفوق أبناؤه حتى على بعض اخوانهم العرب في الشرق فسي هذا المضمار ، واذا كان الجرابون قد برزوا في علوم التشريع والفقه والجديليات والفلسفة الاسلامية والموحدون قد أتوا بكل جديد طريف في علوم الطب والحكمة وفلسفة الكون وعلوم الحياة بصفة عامة فان المرينيين قد أضيفوا الى كل ذلك تفوقا آخر في ميدان علم الاحياء والفيزياء والكيمياء والرياضيات وبذلك تمكن المغرب من اظهار شخصية علمية لم يشاركه فيها الا القليل من أبناء الامم الاخرى سواء في الشرق او في الغرب وظهر على مسرح الحياة العلمية عباقرة خالدون أمثال ابن خلدون واللجائي وابن البناء. (I) العددي الذي هو موضوع هذا الحديث .

وكان اليوم التاسع والعشرين من شهر دجنبر 1256 م يوما عظيما بمراكش الحمراء حيث ولد علم من اعلام المغرب المشار اليهم بالبنان وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن الازدي (من الازد احدي القبائل

(I) ابن البناء المشرفي هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله اليفنادي المتوفى عام 471هـ (راجع ترجمته في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب طبعة المعهد الفرنسي لدمشق - تحقيق الدكتور سامي الدهان وهنري لاووست (ج I ص 41) وأبو عبد الله يحيى بن الحسن ابن البناء المتوفى عام 531هـ المصدر المذكور ص 226 (اللسان العربي)

عالمية فائقة وحظوة عند رؤسائها دولته وأعلامها الكبار الامر الذي جعله مناط أملمهم ومحل تقديرهم واعجابهم فكانوا يستدعونه المرة تلو المرة الى فاس للقاء. دروس في الحساب والهندسة والجبر والتوقيت يحضرها بالإضافة الى علماء الامة رؤسائها وكبارها تشجيعا للعلم والعلماء .

درس ابن البناء على عدة أساتذة مرموقين في مراكش وفاس اللتين كانتا حاضرتي العلم والمعرفة في ذلك العهد فأخذ بمراكش علوم العربية عن الاساتذة القاضي الشريف وابى اسحاق الصنهاجي المعروف بالطيار والعروض والفرائض عن ابي بكر الفلوسى الملقب بالفار والفقهاء عن ابي موسى الشرناتى والحديث عن محمد بن عبد المالك بن سعيد الاوسى الانصارى وبفاس أخذ ايضا عن القاضي ابن الحجاج يوسف التجيبي وابى يوسف يعقوب الجزولى وابى محمد الفشتالى كما درس الرياضيات على الاستاذين ابن حجلة وابن مخلوف السجلماسى والطب على الحكيم الشهير بالمريخ .

وتخرج على يد ابن البناء علماء كثيرون وفلاسفة عديدين كانوا نبراسا استضاء بهم العصر المريني الثانى وازدهرت بهم حواضر المغرب وبواديه في جميع ميادين الحضارة ومن أشهرهم الاستاذ الحيسوبى الشهير ابو زيد عبد الرحمن بن ابي الربيع اللجائى والعلامة القلصادى الذى كان نادرة وقته وابتكر طريقة الابتداء فى الجمع والطرح من اليمين بدل اليسار كما كان سائدا واستنبط ايضا علامة وضع الجذر التربيعى بعد أن احتار علماء الحساب فى أمرها زمنا طويلا ، ومنهم أيضا الاستاذ الابلى شيخ علماء المغرب ابن خلدون وأبو البركات البليقي وابن النجار التلمسانى وغيرهم ممن كانوا بنورا لوامع وبراهين سواطع فى المغرب . وترك ابن البناء عدة مؤلفات ترجم بعضها الى بعض اللغات مثل الافرنسية والاطالية والاسبانية وقد ابلغ الاستاذ رونو الذى كان يدرس بمعهد الدراسات المغربية العليا (كلية الآداب) فى مقال نشر بمجلة هذا المعهد مؤلفات ابن البناء الى اثنتين وثمانين فى التفسير والاصول والمنطق والفقهاء والفلك والعربية والحساب والرياضيات وغيرها من فنون المعقول والمنقول والنقد الادبى

وعلوم الهيئة والحساب والهندسة والجبر وكانت هاته دليلا واضحا على عبقرية وسعة علمه وذكاؤه النادر ولفتت اليه انظار المستشرقين والعلماء بأوربا فتهافتوا عليها شيرحا وتعليقا وتبسيطا ونقلوا الى كثير من اللغات الحية . وقد نقل المستشرق الاستاذ مازى فى مجلة ايطالية سنة 1864 م كتابه المعنون بتلخيص أعمال الحساب الذى تناول فيها بحث هذا العلم بكيفية مبسطة وبيان القواعد التى يجب أن يعتمد عليها الراغبون فى تحصيله كما نقل الى الفرنسية طرفا منه بشرح القلصادى الدكتور فوبكى ونشره بالمجلة الاسيوية سنة 1863 م وقد ترجم السيد زينو الاستاذ بمعهد الدراسات العليا بالمغرب رسالته فى الانواء سنة 1938 م .

ونوه بغزارة علم ابن البناء ولا سيما فى المعقول كثير من جهابذة العلم والمعرفة ممن كانت لهم صلة به أو بكتبه ومن كانت تجمعهم دروسه الحافلة فى مراكش وفاس وغيرها من المدن المغربية .

فهذا علامة عصره ابن خلدون يقول عنه فى مقدمته ما يفيد تقديره والاعتراف بفضله على علماء الشرق والغرب وما جاء فيه قوله : «ولابن البناء المراكشى فى علم الحساب تلخيص ضابط لآعماله مفيد ، ثم شرحه بكتاب سماه «رفع الحجاب» وهو مستغلق على المبتدىء بما فيه من البراهين الوثيقة المبانى ، وهو كتاب جليل أدركنا المشيخة تعظمه كما نوه به ابن حجر فى الدرر الكامنة حيث قال بعد ان ترجم له «وكان ابن البناء فاضلا عاقلا نبيا انتفع به جماعات فى التعليم ، وكان يشتغل من بعد صلاة الصبح الى قرب الزوال مدة الى أن كان فى سنة تسع وتسعين وستمائة هـ فخرج الى صلاة الجمعة فى يوم ربيع وغبار وتأذى بذلك وأصابه بيس فى دماغه ، ولعل هاته المنة سنة كما قدرها كثير من المؤرخين له وزادوا فذكروا قصصا كثيرة عنه رووها عن تلاميذه والمقربين اليه ومنها انه امتنع عن أكل كل ما فيه روح وصار يكشف كل داخل عليه بما هو فيه ويخبره ببعض المغيبات ويستعمل الاشكال الهندسية والحساب فى أمور غريبة ومنها انه استعمل أحد الاشكال ضد شرطى اعتدى على بعض خدمه فلم يتسم كتابته حتى خزن الشرطى صريحا ، أما الامام ابن رشد الفهرى فقد ذكر أنه لم يعترف الا بعالمين هما ابن البناء العددى وابن الشاط السبتي حيث قال : (لم

عشر الميلاد ونحن نرى ان جميع من ترجموا له سواء من المشاركة او المغاربة لم يتعدوا الاخبار بأنه ولد بمراكش وان دازه ما زالت مشهورة بحى ابن ناهض وأنه توفى بها سنة 721 فى غشت 1321 م واطن أن هذا الحطأ ناشئ عن عدم توفر الخزانة العربية بالشرق عن الكثير من المصادر المغربية لا سيما منها ما يتعلق بعلماء عباقره أمثال مترجمتا ابن البناء وكثيرا ما تشوه بعض المصادر الاجنبية الواقع وتسعى للتقويض من حضارة المغرب فينبغى أن يتنبه لها .

محمد ادريس العلمى

ان المغرب الا زجلين ابن البناء العدى بمراكش وابن الشاط بسبته) . تلك نبذة من ترجمة ابن البناء المراكشى وهي شخصية فذة لها فضل فى علوم الرياضيات استحققت بها التنويه فكانت كتبه مثار تعليقات ضافية من لدن الشخصيات والهيئات العلمية فى الغرب والشرق ومن لدن بعض المستشرقين الذين اخلصوا للعلم والانسانية جمعا . ونرى من اللازم أن ننبه الى أن الاستاذ الكبير البهانة قدرى طوقان قد افرد فى أحد اعداد مجلة الرسالة المصرية سنة 1938 م بحثا عن ابن البناء ذكر فيه أن ولادته كانت بفرناطة فى منتصف القرن الثالث

العامل فى النحو

ابن جنى هو اول من انكر العامل فى كتابه الخصائص حيث قال : « وأما فى الحقيقة ومحصول الحديث فالحركات من الرفع والنصب والجر والجزم انما هي للمتكلم نفسه لا لشيء غيره ... ثم قال : « ان ضرب انتهت بمجرد التطق بها فلا يمكن أن تكون عاملا فى زيد أو عمرو الخ » وذهب ابن مضاء قاضى قضاة قرطبة فى عهد الموحدين على هذا النحو فى كتابه الرد على النحاة .